



أجمل اللحظات هي أصعب اللحظات، وأجمل الأيام هي أقساها، فكلذات الأكباد لا تأتي إلا في أشد اللحظات ألماً وقوساً ومكابدة على الوالدة، ومع هذا تزورها ثانية وثالثة طالبة المزيد من تلك اللحظات رغبة بثمرتها وهي البنين والذرية، والشام اليوم هي والدة الأمة التي تصر على تلك المعاناة والمكابدة مهما تکالب الأعداء وتواطئوا شرقاً وغرباً وما بينهما، فهي تدرك تماماً كما تدرك الوالدة والأم أن ذرية وبنين وحفدة سيولدون من رحم هذه المعاناة، وربيع عربي يليق بحاضرة بنى أمية سيولد من جديد يُنهي وينهي الأمة كل ما عانته وهي تنظر إلى المولود الجديد الذي سيكبر ويُكرَّب ليصوغ أمة جديدة تقطع الصلة بأمة الإجرام والاستعباد الماضية.

قدر الحواضر الكبرى، تماماً كقدر أحفاد الإمبراطوريات والحضارات الكبرى لا ينظرون إلى اللحظة والآن على أنه قدرهم، وإنما ينظرون إلى الهدف الأسمى الذي وضعوه أمام أنفسهم متسلين بماضٍ مجيد عتيق من العراقة والمقاومة، ولذا حين ينظر البعض إلى ظاهر الصراع في الشام اليوم قد يصيّبه اليأس والقنوط، ولكن من ينظر إلى باطنِه وحقيقةِ وكنهِه، يعي تماماً أن الشام وأهلها منصورة بإذن الله، والدليل هو كثرة تكالب الميليشيات الطائفية ومعها الاحتلالين الروسي والإيراني ومع هذا لا تزال صامدة صابرة مرابطة.

فالإمبراطوريات أول ما تنهاز أخلاقياً وقيميًّا، وهذا ما حل بالإمبراطورية الرومانية كما قرره مؤرخها إدوارد غيبون، وسلطه الألب أول ما تسقط حين يكذب أمام ابنه فتنهاز قيمته وينهاز معه كل أمر يصدره، ولك أن تنظر اليوم إلى القيم الغربية التي دفنتها الشام والتي كانت تتشدق بالوقوف مع الشعوب والحرية والديمقراطية لتنقلب عليها، وتنقلب حتى على خطوطها

الحمراء، وفي الوقت الذي تتشدق بانفجار الهويات في عالم الربيع العربي وهو توصيف أبداً غير صحيح، كانت الهويات تنفجر في دلائل، ومن قبل تنفجر بخروج بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، بينما كانت روسيا تقلب بين حكم شمولي وديمocrاطي بائس إلى حكم فردي مزاجي يوماً مع طاغية الشام وأخرى ضده وثالثاً يدعوا إلى قوانين لمكافحة الإرهاب وصفته مراكز بحثية بأنه لم يسبق للبشرية أن سنته من قبل وهو أن كل من يتستر على الإرهاب يتم سجنه لعام ونحوه من القوانين الغريبة العجيبة.

على الساحة الشامية الداخلية ما يعانيه الطائفيون أضعاف ما يعانيه أهل الشام، لكن معاناتهم وجودية فالطائفة العلوية الموالية للنظام تدرك تماماً أنها تتعرض لخطر انقراض حقيقي بعد بلوغ قتلى شبابها أكثر من مائة وعشرين ألف قتيل على أقل التقديرات، وهو ما يعني وجود أكثر من 300 ألف جريح ومعاق، وهذا يعني أن نسبة الخارجين عن الخدمة في الطائفة يتعدى السبعين بالمائة، ما يهددها فيما إذا استمر الحال بالانقراض، وهو ما يفسر خفت الاحتلال الروسي والإيراني وأنذنابهما الطائفية إلى إنقاذهما، فعدا الخبر العاجل هو مقتل ضابط علوي وليس مقتل ضابط روسي أو أفغاني ولبناني وعربي وإيراني شيعي طائفي.

وصدق الله تعالى: {إِنْ تَكُونُوا تَائِلُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} وإن النصر صبر ساعة، فإن الشام تخط الخط البياني للأمة رفعة ومقاماً، وشقوق التصدع في جدار الظلم العالمي بدأ في تململ إيراني داخلي إلى أميركي وروسي وغربي، وأحلى الأيام يا شام هي التي لم تأتِ بعد.

العرب القطرية

المصادر: